المجلة العربية للعلوم الانسانية ـ العدد السادس ـ المجلد الثاني ـ ص ص (٦٥ ـ ٧٩)

المكتبة الشاملة كمحور لعملية البحث والتعلم في الجامعة العصرية

أحمد بدر
قسم الاحصاء ـ جامعة الكويت

ملخص

تهدف الدراسة الى التعريف بأهمية المكتبة الشاملة أو مركز مصادر التعلم، في النظم التعليمية الحديثة، ذلك لأن مركز مصادر التعلم يهيء البيئة الصالحة لاطلاق الطاقات الخلاّقة والإبداعية لدى كل طالب حسب قدراته وميوله واهتماماته، ويشجع الطالب على القيام بدور اكثر إيجابية في عملية التعليم الذاتي وحل المشكلات والوصول الى الحلول والحقائق بنفسه.

ولقد ربطت الدراسة بين المكتبة الشاملة والنموذج الاتصالي لتحديث التعليم في نظام المقررات. . . فالاتصال التعليمي التقليدي يتم في اتجاه واحد من الاستاذ للطالب حيث يقوم الاستاذ بالمحاضرة أو الاملاء، وحيث يقوم الطالب بالحفظ دون الفهم او الاستيعاب أو التفكير. . ودور المكتبة هنا دور هامشي. . أما في النموذج الاتصالي لتحديث التعليم فتزيد فيه فعاليات العناصر المختلفة لتهيئة البيئة الصالحة للتعليم، وهو الأستاذ والطالب والمكتبة الشاملة، وحيث يفترض أن تتم في نظام المقررات عملية تواصل في اتجاهين من الأستاذ للطالب وبالعكس عن طريق المكتبة الشاملة المتعددة المصادر والتقنيات التربوية وعن طريق التوجيه والحوار والمناقشة.

ومفهوم التعلم عن طريق المكتبة كمحور لا يتضمن تقديم الكتاب الشامل Generic Book فحسب ولكنه يعني كذلك المدخل الببليوجرافي للتعليم، والمقصود هنا هو البعد عن الكتاب المقرر Textbook بل وتجاوز الخطوة التقدمية الحالية وهي تقديم قوائم القراءات Reading Lists وتعريف الطالب بأدب الموضوع Literature of the Subject وعن طريق ادراك الطالب لجوانب الموضوع المختلفة مع التوجيه السليم من استاذه، فسينفتح على النظرة التكاملية المعرفية، لتنمية قدراته النقدية والوصول الى الحكم المستقل بقدراته الذاتية. . وهو في هذا كله ينمي قدرته على أن يتعلم كيف يتعلم وينطلق من احتياجاته كمتعلم وليس حسب تعليمات المعلم.

وتشير الدراسة إلى النظام التعليمي بدولة الكويت في الجامعة والمعاهد التربوية والمدارس الثانوية التي تطبق نظام المقررات حيث أدخلت مواد «طرق البحث» «والتفكير العلمي» كمتطلبات جامعية ومعهدية ومدرسية للمعاونة في تحقيق عملية التعلم.

واخيرا فتتناول الدراسة عناصر ووظائف مراكز مصادر التعلم وكذلك المتطلبات والركائز التي ينبغي توفرها قبل إنشاء هذه المراكز وخصوصا القوة البشرية القادرة على تحقيق أهداف هذه المراكز.

يعتبر الطالب في النظام التعليمي الحديث هو محور العملية التعليمية كلها، كما أن التحدي الذي يواجه هذه العملية، هو كيفية اطلاق الطاقات الخلاقة والابداعية لدى كل طالب. حسب قدراته وميوله واهتماماته، وفي كيفية قيام الطالب بدور أكثر ايجابية في عملية التعلم الذاتي، وحل المشكلات والوصول إلى الحلول والحقائق بنفسه..

ويعكس نظام المقررات الاختيارية هذه الفلسفة التعليمية الخاصة بتحقيق عملية التعلم، التي تأخذ في اعتبارها اختلاف قدرات الطلاب ورغباتهم واحتياجاتهم، كما أن نجاح هذا النظام في تحقيق أهدافه يعتمد على تهيئة البيئة الصالحة لعملية التعليم وهذه البيئة تضم عناصر متعددة لعل أهمها توفر المكتبة الشاملة أو مركز مصادر المعلومات بمقوماته البشرية والمادية الضرورية، كما يتطلب تصميم هذه البيئة أيضا وجود الأستاذ القادر على تيسير عملية التعلم وتوجيه وارشاد الطلاب عن طريق الحوار واتصال الأخذ والعطاء، والاشتراك معهم في متابعة مشروعات بحوثهم خطوة خطوة في مركز مصادر المعلومات أي ألا يقتصر دور الأستاذ على مجرد المحاضرة والشرح والتلقين والتحفيظ.

واذا كان حديث أمين المكتبة للطلاب الجامعيين الجدد، او البرنامج التنويري الإرشادي عن خدمات المكتبة الاكاديمية، يعتبر كافيا فيما مضى، فإن ثورة المعلومات المعاصرة فضلا عن الزيادة المستمرة في أعداد الطلاب الجامعيين، قد جعل التعليم المنهجي للطلاب في كيفية استخدام المكتبة ومصادر المعلومات أمرا ضرورياً في العديد من الجامعات الحديثة وذلك باعتبار المكتبة الشاملة بتقنياتها المعاصرة وبتعدد مصادر المعلومات بها محورا لعملية البحث والتعلم طبقا للنظم التعليمية المتطورة.

أولا: التعريف بنظام المقررات وبالمكتبة الشاملة

مصطلح نظام المقررات ترجمة غير دقيقة للمصطلح الانجليزي Credit System (نظام الساعات المعتمدة) أو المصطلح Elective System (النظام الاختياري) فكلمة «مقرر» قد تحمل معنى الاجبار أو الالزام وهو مفهوم تتجنبه فلسفة نظام المقررات الذي يتيح للطالب حرية المشاركة في رسم مناهجه الدراسية وتقرير سرعة تقدمه وفقا لقدراته ورغباته.. والنظام بذلك يقوم على أساس تعيين عدد من الوحدات الدراسية المطلوبة لتخرج الطالب في أي قسم من أقسام الجامعة... وهذه الوحدات تشمل المقررات الالزامية والاختيارية في مجالات المتطلبات الجامعية العامة والتخصص الرئيسي والمساند للطالب.

أما بالنسبة لمصطلح المكتبة الشاملة (او مركز مصادر المعلومات) فهو مصطلح حديث نسبيا في البلاد العربية ويعبر عن مصطلحات انجليزية عديدة منها:

- مركز الأوعية - المكتبة — Library - Media Center
- المكتبة الشاملة — Multi-Media Library

- مركز وسائل التعليم Instructional Media Center
- مركز مصادر التعلم Learning Resources Center
- مركز مصادر المعلومات Informations Sources Center
- مركز المعلومات Information Center

الكلية - المكتبة (بالمقارنة بمصطلح مكتبة الكلية او مكتبة المدرسة)
Library - College Concept Vs College Library

والمصطلح الاخير استحدثه لويس شورز Shores كما استحدث هو أيضا في الأدب المكتبي مصطلح الكتاب الشامل Generic Book (Schuster, 1977: 32 - 33)

وعلى الرغم من بعض الاختلافات في مفاهيم هذه المصطلحات فهي تكاد تتفق جميعا في البعد عن المكتبة بمفهومها التقليدي (الذي يعتمد على الكتاب المطبوع وعلى التنظيم المخزني وعلى الخدمة المكتبية السلبية). . والاقتراب بدلا من ذلك من المكتبة بمفهومها الديناميكي الحديث الذي يؤكد لا على «الكتاب» بل على «المعلومات» التي يحتويها الكتاب والدورية الحديثة والمراجع وغيرها من المصادر المنشورة وغير المنشورة، ويؤكد كذلك على تنوع المصادر التعليمية المقروءة أو المرئية أو المسموعة ويؤكد على التقنيات التربوية الحديثة، ويؤكد كذلك على دور هذه الوسائل في تحقيق عملية التعلم والمشاركة الايجابية للطالب في اكتسابه للمعرفة مع توفر البيئة الصالحة للتعليم، والتي ستساعد الطلاب ومعلميهم على الارتقاء بمستوى الأداء التعليمي وتحسين طرق التدريس وأساليبه[1] ولكن لا بد من وقفة سريعة عند المصطلح الأكثر حداثة، وهو «الكلية - المكتبة (Clayton & Jordan, 1971: 608) وهو مصطلح يعكس أحد مثاليات التعلم المعاصر الذي يعتبر المكتبة محوراً لعملية التعلم Library - Centered Approach to Learning ويقول شورز Shores الذي أدخل هذا المصطلح في الأدب المكتبي «أن الكلية - المكتبة» أو «معهد المكتبة» يعني المدخل الببليوجرافي للتعلم (وسنفصل ذلك فيما بعد)، ويعني المصطلح أيضا الوسط أو البيئة المحيطة بالعملية التعليمية، وهذه البيئة تشمل وسائل التعليم المتعددة السمعية والبصرية والمطبوعة، فضلا عن الاتصال المواجهي بين الأستاذ والطالب وأمين المعلومات والطالب.

أما مصطلح الكتاب الشامل Generic Book فهو يعني كل قنوات ووسائل الاتصال المادية والبشرية، وهذه القنوات تضم مختلف المستويات والموضوعات والأشكال (كالأفلام والصور والمجسمات والفيديو والشرائط والاسطوانات والشفافيات والآلات الحاسبة الالكترونية. . . الخ)

ثانيا: النموذج الاتصالي لتحديث التعليم في نظام المقررات:

هناك عناصر ثلاثة على الأقل تدخل في العملية التعليمية هي الأستاذ والطالب والكتاب، وإذا كان النظام التقليدي القديم يعتبر الأستاذ هو العنصر الأساسي الذي يحاضر أو يملي على الطلاب دروسه فإننا نجد المكتبة هنا على هامش العملية التعليمية، واستخدامها يتم مصادفة لا كقاعدة.

أما النظام التعليمي الحديث فتزيد فيه فاعلية العناصر الثلاثة، ولكن مع التركيز على نظام اتصالي يجعل الطالب محور العملية التعليمية. ويقوم الاستاذ في هذا النظام بدور التوجيه والارشاد.

وتتم عملية الاتصال بين الأستاذ والطالب كاتصال مواجهي تتعدل فيه الرسالة الاتصالية باستمرار طبقا لاحتياجات الطالب التعليمية، ومن خلال مصادر ووسائل عديدة للتعلم ولعل النموذجين التاليين يوضحان الفكرة.

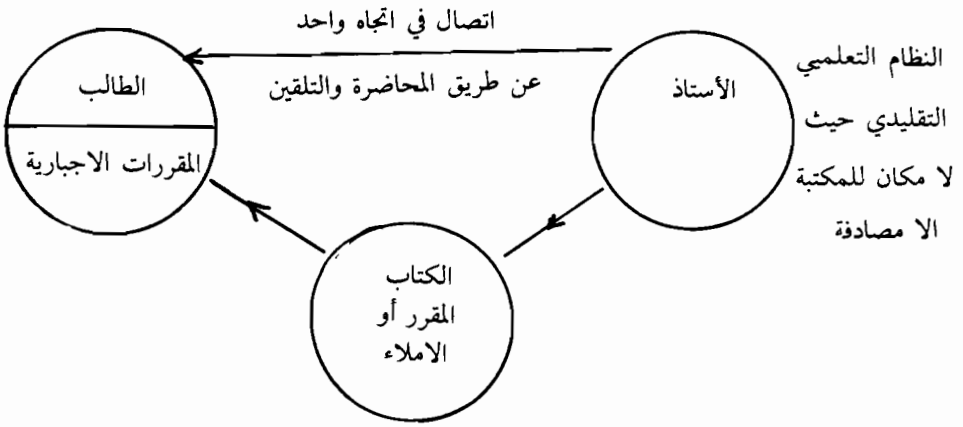

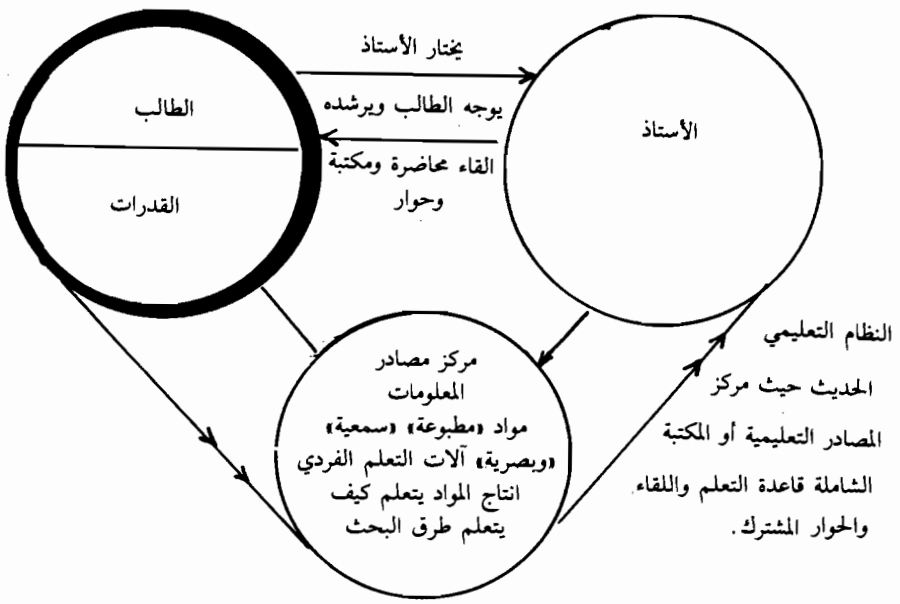

ومن الملائم ونحن بصدد تعدد الأوعية ووسائل التعليم أن نشير الى بعض ملامح التطور التاريخي لهذه الأوساط وتأثيرها التحديثي على الخدمات المكتبية ومراكز مصادر المعلومات وذلك كما يلي:

وسيلة الاتصال	المواد المكتبية والوسائل التعليمية	التأثير في خدمات المعلومات
الكتابة ثم الطباعة	المخطوطات ثم الكتب والدوريات	تطوير اجراءات الضبط الببليوجرافي
التليفون/ التصوير/ السينما	الأدلة/ الصور والميكروفيلم/ والأفلام	تطوير خدمة المراجع وعمليات الاعلام والادارة ثم ميلاد فكرة مركز المصادر التعليمية بما فيه الكتب والوسائل السمعية والبصرية لحفظ ونقل المعلومات
الراديو والتلفزيون	شرائط مسموعة/ فيديو كاسيت	خدمات اضافية للمكفوفين ثم خدمات اضافية في عملية التكشيف والتحليل والحفظ والارشاد
الحاسبات الالكترونية	شرائط واسطوانات Tapes, Discs, Drums	الاختزان والاسترجاع المحسب للمعلومات، تأثير الكمبيوتر والمشكلات اللغوية والترميز، والتأثير على عمليات ادارة المكتبات ومراكز المعلومات والشبكات الوطنية والدولية

ثالثا: ـ عناصر الفلسفة المشتركة لكل من نظام المقررات ومركز مصادر المعلومات:

١ ـ التعلم بين المقررات الاجبارية والقدرات والرغبات الطلابية:

لقد لاحظنا في النموذج الاتصالي السابق لتحديث التعليم، اعتماد النظام التقليدي على المقررات الاجبارية التي يلتزم بها جميع الطلاب. وهم حين يتخرجون في تخصص معين من الجامعة مثلا، فهم جميعا نسخة طبق الأصل. أما في النظام التعليمي الحديث (ونظام المقررات الاختيارية جزء من هذا النظام الحديث) فهو يركز على القدرات الطلابية وعلى الميول والرغبات وبالتالي يختلف الطلاب الذين يتخرجون من الجامعة في تخصص معين في المقررات التي يختارونها، بالنسبة لتخصصهم المساند أو المتطلبات الجامعية أو غيرها من المقررات حسب خطة القسم العلمية.

لقد أثبتت البحوث التربوية وجود اختلافات جوهرية في قدرات الطلاب على التعليم وفي الأسلوب المعرفي وفي تفضيل الوسائل المكتوبة أو المنطوقة أو المرئية، وفي الدوافع وفي صفات أخرى عديدة. . . . ونتيجة لذلك فقد عمدت نظم التعليم الحديثة الى أخذ هذه الاختلافات في الاعتبار وذلك لزيادة فاعلية العملية التعليمية.

واذا كانت الطريقة التقليدية في التعليم تعتمد على الزام جميع الطلاب بمقررات اجبارية وتحديد عدد السنين والمقررات والوحدات واتباع اسلوب التلقين والمحاضرة والكتاب المقرر، فان الطريقة الحديثة تأخذ الاختلافات الطلابية في القدرات والرغبات والاحتياجات في الاعتبار، وتهدف الى الاشراك الايجابي للطلاب في عملية التعلم والاهتمام بالتعلم الذاتي والفردي، ويشترك كل من نظام المقررات والمكتبة الشاملة في تحقيق فلسفة التعلم التي تحقق النمو المستمر والتغيير المستمر كذلك.

٢ ـ مركز مصادر التعلم يهيء البيئة التعليمية اللازمة لنظام المقررات:

لقد كتب ريتشارد هوستروب (38 :1973) في كتابه عن «التعليم داخل المكتبة الشاملة» Education inside the Library - Media Center ما يلي:

خلال مائة عام من البحوث في مجال التعليم الانساني، هناك أربع حقائق متفق عليها وهي:

أ ـ يتم التعلم اذا كان لدى الشخص الدافع والرغبة في التعلم.

ب ـ تتيسر عملية التعلم اذا عرف الشخص ماذا يتوقع منه أن يتعلم (التوقعات)

جـ ـ تتيسر عملية التعلم اذا كان الشخص مشاركا مشاركة ايجابية في هذه العملية.

د ـ تتيسر عملية التعلم اذا كان لدى الشخص معرفة بالنتائج (أي أن تكون هناك تغذية مرتدة).

ويضيف هوستروب الى هذه الحقائق ما يلي:

أ ـ أن عملية التعلم تزيد كلما زاد استخدامنا لأكبر عدد من حواسنا الخمس.

ب ـ ستتم عملية التعلم بسرعة أكبر اذا ما عومل المتعلم أو الجماعة التي تتعلم بطريقة خاصة.

وينتهي هوستروب في تحليله السابق الى أن «المكتبة الشاملة» هي المكان المثالي الذي يهيء البيئة التعليمية المطلوبة لتحقيق أهداف التعلم.

ويمكن فيما يلي أن نشير لبعض مميزات نظام المقررات وارتباطها بالمكتبة الشاملة:

أ ـ يعتبر الطالب بقدراته وميوله ورغباته واحتياجاته هو محور العملية التعليمية أما الأستاذ فهو موجه ومرشد للطالب ولا يقتصر دوره على المحاضرة والتلقين.

ب ـ يتحقق مع نظام المقررات هدف التربية في تحقيق ذاتية الفرد تبعا لقدراته بدلا من التركيز في النظام القديم على تحفيظ الطلاب مقررات اجبارية.

جـ ـ مبدأ الاختيار أو مبدأ التعدد بالنسبة للمقررات العامة والرئيسة والمساندة من شأنه أن يحقق في التعليم من الديمقراطية والحرية، ما تصبو الدول لتحقيقه في المجالات السياسية والاجتماعية الأخرى، ومبدأ التعدد والحرية كممارسة فعلية، لا يكن أن يتحقق الا باختلاف مدارس الفكر امام الطالب، وباختلاف وسائل وقنوات وأشكال المعرفة التي تقدمها له المكتبة الشاملة.

د ـ مبدأ تعدد الثقافات في المرحلة الجامعية الأولى من شأنه أن يعطي الطالب قاعدة ثقافية عريضة تعينه على حل مشكلات مجتمعه ذات الطبيعة المتشابكة، فضلا عن امكانية الاسهام الايجابي المحدد في مجتمعه طبقا لتخصصه العلمي.

ونحن نلاحظ في النظام التعليمي القديم، تجسيد الفصل بين أنواع المعرفة والثقافات، كلما صعد المتعلم الى أعلى في السلم التعليمي، وكنتيجة لتجسيد هذا الفصل بين فروع العلم والمعرفة، فان المتعلم البالغ، اذا أريد له ان يكون ذا شخصية متماسكة متكاملة، يحتاج الى اعادة تجميع أجزاء عالمه المعرفي، وان تنمى لديه مقدرة الطفل البسيطة على الاكتشاف والبحث والتقصي والسؤال داخل الاطار المعرفي المنهجي المتكامل.

هـ ـ ان متابعة الطالب لدراسته طبقا لقدراته الذاتية من شأنه أن يبعده عن الشعور بالاحباط امام زملائه ومجتمعه.

أي أن المكتبة الشاملة تعتبر أداة معاونة في تحقيق كل من هذه المميزات السابقة، اذ تستجيب مختلف مصادر التعلم لمختلف القدرات والرغبات والاحتياجات، كما أن توجيه واشراف الأمناء والأساتذة على مشروعات الطلاب البحثية ومتابعتها خطوة خطوة من شأنه أن يكسب الطلاب مهارات التعلم الذاتي وبناء شخصيتهم العلمية والاجتماعية.

٣ ـ التعلم الذاتي نعم.. ولكن بعد تعريف الطالب كيف يتعلم ويبحث

اذا كانت عملية النمو تعتبر إحدى قوانين الحياة من خلية الأميبا الى أكثر المخلوقات تعقيدا وهو الانسان، فان عملية النمو هذه لا تحدث خلال السنوات الاولى للحياة فحسب، ولكنها عملية مستمرة استمرار الحياة، فأن تحيا يعني أن تنمو، وأن تنمو يعني أن تتغير، والتغير الى الأفضل هو الذي يعتمد على المعلومات المتطورة الحديثة، تلك التي يكتسبها الانسان بنفسه عن طريق التعلم الذاتي، وحيث يتيح له ذلك الوسط والبيئة الصالحة للتعلم.

وقد قال كارل روجرز أحد علماء التربية المعاصرين إن الشخص الوحيد المتعلم هو الشخص الذي تعلم كيف يتعلم، هو الشخص الذي تعلم كيف يتلاءم مع الوسط المحيط، هو الشخص الذي يدرك أنه ليس هناك معلومات نهائية يمكن أن يكتفي بها الانسان، بل يجب أن يكون التغير المعتمد على عملية البحث عن المعلومات هو الأساس والقاعدة التي تجعل للتعليم هدفا ومعنى في العالم الحديث. (Rogers, 1969: 104)

أي أن التعليم في مفهومه المتطور، يركز على تكوين المهارات الأساسية والاتجاهات العلمية، التي تجعل الطالب قادرا على تعليم نفسه بنفسه، وليس مجرد حشو ذهنه بالمعلومات والحقائق تلك التي قد تتغير وتتقادم مع الأيام، وأصبح نجاح المدرس بالتالي يقاس بمدى قدرته على بناء تلك الاتجاهات والمهارات، التي تساعد الطالب وتدفعه للاستزادة من العلم والمعرفة أثناء الدراسة المنهجية الرسمية وبعدها في المجتمع ايضا.

واذا كانت البحوث التربوية الحديثة قد أثبتت تفوق **طريقة الاكتشاف الموجه** (Ray, 1961: 280) على طريقة الشرح المباشر التفصيلي، الذي يقوم به المعلم، وذلك بالنسبة لاستمرار الاحتفاظ بالمعلومات التي تعلمها الطلاب، فان التاريخ القديم يشير الى معلم مثالي هو سقراط اتبع هذه الطريقة ذاتها، اذ كان سقراط يحاول أن يلائم بين قدرته العلمية المتفوقة وقدرة كل واحد من تلاميذه ومريديه، وكان يتعمد الا يلقن طلابه المعلومات والمذاهب، ولكنه كان يساعد المتعلم على أن يحل مشكلته بنفسه، وكان يعتقد بأن المتعلم يجب أن يفكر لنفسه وأن يجد الحقيقة بنفسه ايضا. (Castle, 1970: 28)

واذا كانت طريقة الاستدلال المنطقي هذه احدى المراحل الأساسية في تحصيل المعرفة في الزمن القديم ولا زالت تستخدم حتى الآن، فان كمية المعلومات المنشورة الآن ودرجة تعقدها الموضوعي يستدعي من النظام التعليمي ـ قبل الأخذ بنظام التعلم الذاتي ومتزامنا معه ـ تعليم الطلاب كيف يتعلمون وتدريبهم على طرق البحث في مصادر المكتبة أو مركز مصادر المعلومات. . ذلك لأن هذا التدريب من شأنه ان يساعد على الوصول الى مرحلة التعلم الذاتي في عصر تشابكت فيه العلوم مع بعضها وأصبح البحث فيه عن الاكتشافات والحقائق علما قائما بذاته لا مجرد اجتهاد من الطالب او الاستاذ.

٤ ـ النمط الببليوجرافي للتعلم

ان فكرة التعلم التي تعتبر المكتبة الشاملة محورها، تقوم على أساس تزويد كل طالب بالوسيلة الملائمة لاحتياجاته ورغباته. . ففكرة التعلم هنا تقوم على أساس أن هذه الاحتياجات تختلف من طالب لآخر وعن طريق استخدام الكتاب الشامل Generic Book أي الوسائل المتعددة المقروءة والمرئية والمسموعة. . . . فمن الممكن مقابلة Matching الاختلافات الفردية بمختلف قنوات وأدوات الاتصال. .

وعلاوة على ذلك فان مفهوم التعلم عن طريق المكتبة كمحور لا يتضمن تقديم الكتاب الشامل (أي مختلف ادوات ووسائل الاتصال فحسب). ولكنه كذلك الطريقة او المدخل الببليوجرافي للتعلم، والمقصود بالمدخل الببليوغرافي هنا هو البعد عن فكرة الكتاب المقرر Textbook الذي يعكس عادة وجهة نظر واحدة، ويقدم حلولا معدة مسبقا ونتائج جاهزة. . . . . كما أن هذا المدخل الببليوجرافي للتعلم يعني البعد أيضا عن وضع قوائم القراءات المحددة في مقرر معين Reading Lists (وهذه الطريقة كانت تعتبر حديثة بمقاييسنا نحن التقليدية)، وفتح الطريق أمام الطالب ليتعرف على أدب الموضوع الذي يتصدى له بالدراسة

Literature of the Subject وبالتالي يستطيع الطالب أن يدرك بطريقة ايجابية مختلف جوانب الموضوع، وأن يتعرف على العلاقات بين فروع الموضوع كلها بدرجة عالية من الاتساع والعمق، بل سيقف الطالب عن طريق التعرف على أدب الموضوع على النظرة التكاملية بين مجالات المعرفة التي يتناولها بالدراسة.

واذا ما استطاع الطالب أن يدرك عن طريق المدخل الببليوجرافي الجوانب المختلفة للموضوع فمعنى ذلك تشجيع الطالب على تنمية قدراته النقدية والوصول الى الحكم المستقل وان يثق بالتالي بقدراته الذاتية، والمدخل الببليوجرافي هذا يؤكد على الأفكار، والمفاهيم والمشكلات، وليس على تذكر حقائق ومعلومات بعينها. . . . . كما يؤكد هذا المدخل مرة أخرى على الدراسة المستقلة، التي يريدها. . وهو في هذا كله ينمي قدرته على أن يتعلم كيف يتعلم، وهو الهدف الذي تتحد فيه فلسفة المكتبة الشاملة الحديثة مع فلسفة التعليم الحديثة المتمثلة في نظام المقررات الاختيارية.

وخلاصة هذا كله أن المدخل الببليوجرافي للتعلم ينطلق من احتياجات المتعلم، وليس حسب تعليمات المعلم، وبالتالي فالطالب ليس محددا بمتطلبات محددة مفروضة عليه، ولكنه حر في اختيار اتجاهه.

فالمتعلم هو الذي سيقرر أي مجال موضوعي سيبدأ به بحثه ومتابعته العلمية، وسيوضح الطالب ـ في سياق دراسته ـ أهدافه وطرق تحقيقها، ويمكن أن يكون هذا الايضاح مفصلا، يشمل جدولا بأنشطة الطالب المتنوعة لتحقيق هدفه، ويمكن أن تشمل سجل تقدم Progress Report ، وكذلك بالنسبة لطرق ونتائج التقييم لعمله، فالقراءة الحرة ضرورية هنا عند تقويم الطالب في أعمال السنة (ولعل القراءة الحرة ايضا ضرورة لتقييم المدرسين واسهامهم في التعاون مع المكتبة ودرجة تنشيطهم لطلابهم في استخدام مصادرها). . .

ومعنى هذا الذي نقوله هو ان النمط الببليوجرافي لعملية التعلم هو مدخل الدراسة المستقلة، وان يختار الطالب الوسيلة الملائمة للدراسة والتعبير عن نتائج دراسته أيضا، فهو يشارك في مختلف الانشطة (يقرأ/ يتحدث/ يكتب/ يناقش/ يبحث/ يخطط / يقيم/ يفسر/ يدرس/ يقدم مشروعات. . . . .). كما يستخدم الوسائل السمعية والبصرية الملائمة بل وينتج هو مواد التعلم الاصلية. . . . وهو يقوم بهذه الأعمال أو ببعضها بالمشاركة مع زملائه، وبالتالي فهو يعمل كعضو في جماعة المتعلمين ويمارس بذلك نوعا من المسؤولية الاجتماعية. كما ينبغي الا يقتصر في تجميع معلوماته على المواد المطبوعة أو المنشورة، بل يجمعها في الميدان ايضا، حتى لا تنحصر حصيلته في النهاية على الدراسة اللفظية (Verbal) دون ان تستند للواقع الموجود في الكون وفي الحياة.

وكمثال توضيحي لهذا النمط الببليوجرافي: طالب يدرس عن «أدب الفولكلور» فهو غير محدد بقائمة قراءة Reading List عن الموضوع (وهي الخطوة المتقدمة المعاصرة في نظام المقررات) ولكنه في المدخل الببليوجرافي سيتعرف بطريق مستقلة على هذا الادب ونطاقه وحدوده، وبعد

ذلك ستعطى للمتعلم حرية دراسة الموضوع بطريقته الخاصة . . فقد ينصت لقصص فولكلورية على شريط أو يرى فيلما أثناء استماعه لتسجيل معين، أو يقرأ بهدوء مقالا عن أدب الفولكلور، وقد يقوم ببحث موسع في ذلك مستعينا بالموسوعات وغيرها من كتب المراجع الأخرى والدوريات والوسائل السمعية والبصرية . . وقد يسأل الطالب أشخاصا ثقة في الموضوع داخل أو خارج تنظيم المدرسة (اي تجميع معلوماته من الميدان) وقد تتكون لدى الطالب ـ بعد قيامه بهذا النشاط ـ الرغبة في التعبير عما وجده عن طريق عمل مشروع فني وهذا التعبير قد يتخذ أي شكل من الاشكال الاتصالية، كأن يكتب مقالا أو قطعة شعرية أو قصة أو أن يقوم بتقديم الموضوع شفويا، أو أن يقدم الموضوع بانتاج واعداد أي مادة سمعية او بصرية او أي شكل خلاق آخر، ويستطيع عن هذا الطريق أن يشارك مع زملائه في مكتشفاته.

رابعا: عناصر ووظائف مركز مصادر المعلومات للقيام بمهمته التعليمية الايجابية: (Wilson, 1973: 283 - 299)

(١) مركز مصادر المعلومات كامتداد للأنشطة التعليمية بقاعة الدرس:

ويتم ذلك عن طريق القيام بالخدمات المكتبية والاعلامية كالاعارة والاطلاع الداخلي والخدمات المرجعية والببليوجرافية واقامة المعارض والندوات الدراسية Seminars وكذلك يتم هذا النشاط عن طريق تزامن النشاط بقاعة الدراسة مع النشاط التعليمي في مراكز مصادر المعلومات حيث يتعرف أعضاء هيئة التدريس على مصادر التعلم المتنوعة بالمركز لتوجيه طلابهم لها، وحيث يقوم الأمناء المتخصصون بمعاونة الطلاب في اعداد تقارير بحوثهم والتخطيط لها بالتعاون مع أعضاء هيئة التدريس، وأخيرا فتتم وظيفة المركز هذه عن طريق زيارة أمناء المكتبة المهنيين واختصاصيي المعلومات لقاعات الدراسة للتعرف عن قرب على المقررات الدراسية وطرق التدريس وطبيعة البحوث الطلابية المطلوبة . . . الخ.

٢ ـ مركز مصادر المعلومات ينمي لدى الطلاب قدرتهم على استخدام وإنتاج أدوات وموارد التعلم لحل المشكلات:

يحصل الطلاب على القدرات اللازمة لفهم وحل المشكلات عن طريق المعرفة الأفضل بالمصادر التي تحتوي على المعلومات المحددة، ومعرفة كيفية استخدام المراجع والمستخلصات والكشافات، وكيفية تقييم المعلومات وتلخيصها وتصنيفها، كما تقوم المكتبة الشاملة بدورها كمختبر تعليمي عن طريق تعليم الطلاب تعليما منهجيا في كيفية استخدام المكتبة ومواد التعلم المختلفة، سواء تم هذا التعلم كمقرر رسمي أو كمحاضرات تنويرية أو طبقا لخطة مبرمجة أو غير ذلك.وأخيرا فمركز مصادر المعلومات مختبر تعليمي عن طريق التعليم الفردي المباشر، حيث يعاون الأمين أو أختصاصي المعلومات الطلاب ويوجههم للمصادر والمقتنيات ومواد التعلم ذات الأشكال المتعددة وكيفية الحصول على الحقائق والمعلومات اللازمة لحل مشكلاتهم العلمية.

٣ ـ مركز مصادر المعلومات هو مركز للمعلومات الأكاديمية وغير الأكاديمية

يعمل المركز على بناء الشخصية المتكاملة للطالب نظرا لأن اهتماماته لا تقتصر على المجالات الدراسية الاكاديمية، بل غالبا ما تكون لدى الطالب اهتمامات وهوايات أخرى ويستطيع المركز أن يلعب دورا هاما في تشجيعه على تنمية تلك الهوايات وتدعيمها، وقد يظهر نشاط المركز في هذا الصدد في اعداد القصاصات الصحفية Clippings للأحداث الجارية واعداد وانتاج المواد المتصلة بالهوايات المختلفة. . . . . الخ

٤ ـ مركز مصادر المعلومات كذاكرة خارجية للمعرفة الانسانية:

اذا كانت الذاكرة الانسانية لا تكاد تستوعب الا قدرا ضئيلا من الانتاج الفكري العالمي المتصل بدراسة الطالب، فان هذا المركز يمكن أن يقوم بمهمة المخزن الديناميكي للرصيد الفكري الانساني وذاكرة الطالب أو الباحث الخارجية. . فضلا عن امكانية قيام المركز بخدمات أخرى معاونة لرفع كفاءة العملية التعليمية، وذلك مثل معاونة اعضاء هيئة التدريس باحاطتهم بكل جديد في مجالات تخصصهم واستخلاص المقالات العلمية في الدوريات او تجميع المقررات ومحتوياتها التي تقدم في الكليات والمعاهد الأخرى.

هذا ويمكن أن يقوم المركز بتيسير عمل اللجان العلمية داخل المدرسة أو المعهد ويعتبر هذا الاسهام بالنسبة لنظام المقررات ذا أهمية خاصة، فلجنة المقررات والمناهج التعليمية مثلا، تعتبر في معظم الكليات والمعاهد لجنة دائمة تهتم باعادة صياغة وتطوير محتويات المقررات بناء على المتطلبات الاجتماعية او الاقتصادية او الاكاديمية، وذلك مسايرة للتطورات الحديثة في المعاهد المتقدمة.

وأخيراً فيمكن أن يسهم مركز مصادر المعلومات في خدمة المجتمع والتعلم المستمر فضلا عن دور المكتبة الشاملة كاحدى مقومات اعداد الطالب كمواطن صالح، اذ ينمي المركز لديه المسؤولية الاجتماعية، نظرا لان مقتنيات المركز هي ملكية عامة يستخدمها الجميع، وكذلك بالنسبة لسلوكه السوي داخل المركز واتاحة خدمات المعلومات للجميع على قدم المساواة.

خامسا: خطوات رائدة في النظام التعليمي وخدمات المعلومات بدولة الكويت:

لقد أوصت هيئة اليونسكو الدولية بادخال مقررات «طرق البحث والتوثيق والاعلام» على جميع المستويات التعليمية (Tveteras, 1970: 179 - 183) وذلك لتعريف الطلاب كيفية الوصول الى المعلومات بأنفسهم ومساعدتهم في التعلم الذاتي، والمعاونة بذلك في حل قضية «تفجر المعلومات» وقضية «أسلوب التعليم»

ولعل دولة الكويت هي الدولة العربية الرائدة في هذا المجال، اذ طبقت هذه التوصية مع تطبيق نظام المقررات بجامعة الكويت، واستحدثت الجامعة مقرر «طرق البحث العلمي» لاول مرة ضمن مقررات المتطلبات الجامعية العامة الاختيارية منذ عام ١٩٧٣. ولقد كان عدد المسجلين بهذا المقرر عام ١٩٧٣/ ١٩٧٤ (٢٦٣) طالبا من كلية التجارة حيث بدأ تطبيق نظام

المقررات. . ثم وصل عدد المسجلين على مستوى الجامعة من مختلف الكليات والاقسام عام ١٩٧٨ / ١٩٧٩ الى (١٢٠٧) طلاب. . ويصل عدد المسجلين في هذا المقرر للعام الاكاديمي الحالي ١٩٨١ / ١٩٨٢ الى حوالي (١٥٠٠) طالب وطالبة.

هذا وتهدف جامعة الكويت بتدريس هذا المقرر كما هو الحال في جامعات امريكية وانجليزية عديدة وبعض الجامعات العربية[٣]، الى تعريف الطالب بطرق البحث والوصول الى المعلومات وتجميع البيانات سواء من المكتبة او الميدان ثم تحليلها وتفسيرها وكيفية عرضها. . أي أن المقرر يهتم بتعليم استخدام المكتبة واعداد التقارير العلمية داخل اطار التعريف العام بأهمية مناهج البحث العلمي (وأنواعها وادواتها) في تخليق المعلومات وفي اكتشاف علوم جديدة، وداخل اطار مفهوم اعتماد العلوم بعضها على بعض:

Interdisciplinary Character of Sciences

والنظرة الشاملة اذن لهذا المقرر وتحليل محتوياته يشير الى الاهتمام بتعليم الطالب كيف يتعلم ويبحث في مصادر المعلومات ذات الاشكال المتعددة، وذلك لخدمة هدف التعلم الذاتي والدراسة المستقلة.

كما حرصت وزراة التربية بدولة الكويت ـ وربما لاول مرة على مستوى الوطن العربي ـ على استحداث مقررات جديدة مع تطبيق نظام المقررات في معهدي المعلمين والمعلمات، وفي بعض المدارس الثانوية. . . وأهم هذه المقررات الموازية مقرر (البحث والمكتبات) بمعهدي المعلمين والمعلمات، وهو مقرر اجباري على جميع طلاب وطالبات المعهدين، وكذلك استحداث مقرر (طرق البحث والمكتبة) ومقرر (التفكير العلمي[٣]) كمقررات الزامية في المدارس الثانوية التي تطبق نظام المقررات، وذلك بهدف رفع كفاءة العملية التعليمية، وزيادة فاعلية المكتبة الشاملة والتفكير المنهجي في دراسة الطالب على المستويات المختلفة. .

سادسا: بعض المتطلبات والمحاذير:

اذا كان هذا البحث قد أبرز أهمية المكتبات الشاملة ومراكز مصادر التعلم، فهناك متطلبات لا بد من أن تتوفر قبل أن يفكر المسؤولون عن التعليم والتربية في انشاء مثل هذه المراكز. وذلك لأن هذه المتطلبات تعتبر عوامل حاسمة في نجاح أو فشل اقامة مثل هذه المؤسسات. كما أن هناك بعض المحاذير التي ينبغي أن تؤخذ في الاعتبار والا تحول الوضع الجديد الى مجموعة من السلبيات قد تفوق سلبيات النظام القديم. . ومن هذه المتطلبات والمحاذير يمكن أن نشير الى ما يلي:

١ ـ الأساس الفلسفي والنظري والارتباط بالواقع:

ان فكرة مراكز مصادر التعلم، ما زالت حديثة في الوطن العربي وبالتالي فليس هناك وضوح بالنسبة للاساس الفلسفي لهذه المراكز وعلاقتها بالعملية التعليمية فهل ستقوم هذه المراكز

والمكتبات الشاملة مثلا بالحصول على مواد مصادر التعلم المقروءة والمسموعة والمرئية أم انتاجها أيضا؟ وهل ستقوم هذه المراكز ببعض عمليات التدريس والتعلم الذاتي استكمالا لعمل الاستاذ بالمحاضرة أم أن هذه المراكز هي جزء لا يتجزأ من العملية التعليمية، بحيث تعتبر المكتبة الشاملة محور عملية التعلم ذاتها، أي انه ليس هناك فصول وقاعات محاضرات، ولكن المكتبة الشاملة هي المكان الذي يمارس عن طريقه الطلاب وأعضاء هيئة التدريس عملية التعلم؟ ان تحديد هذه الفلسفة والاقتناع بها من قبل الادارة التربوية من شأنه وضع تصميمات معينة للمباني مغايرة لما هو مألوف في الوقت الحاضر بالنسبة لمباني الجامعة والمدرسة في مراحلها المختلفة، كما ستحدد على ضوء هذه الفلسفة أهداف ووظائف هذه المراكز كجزء من فلسفة المؤسسة التعليمية والنظام التعليمي ككل. ولا ينبغي أن يغيب عن البال أن أي بحث او دراسة عن مراكز التعلم او المكتبات الشاملة في الوطن العربي لا بد أن ترتبط بالواقع وان يؤخذ في اعتبارها البيئة المحلية ومراعاة الظروف ودرجة التطور الثقافي والاجتماعي والنفسي والاقتصادي في كل قطر عربي.

٢ ـ الادارة التربوية

دور الادارة هنا دور خطير، يبدأ من امكانية السيطرة على ذاتها أولا بمقاومة الخوف من التغيير أو اعبائه أو الشعور بالتهديد والاستقرار أمام التكنولوجيا التربوية الحديثة ومقاومة البيروقراطية المنتشرة في كثير من الاجهزة التعليمية، حتى اذا اقتنعت الادارة بفلسفة مراكز التعلم، فالخطوة التالية هي مسح وتحليل وتحديد الاحتياجات الخاصة بالانشاء، سواء من ناحية الجمهور المستهدف أو المنهج الدراسي او الهيئة التدريسية القادرة على انجاح المشروع أو الامكانيات المادية أو المصادر التعليمية، فضلا عن أخذ الظروف البيئية في الاعتبار، ثم على الادارة بعد هذا كله أن تحدد مراحل التنفيذ واضعة الاولويات والركائز الاساسية من أبنية ومصادر وطاقات بشرية ومادية نصب أعينها لتحقيق هذه الاهداف على خطوات مرحلية وليس دفعة واحدة للتأكد من سلامة ما تم تنفيذه، ثم على الادارة في النهاية أن تقوم عملها في مختلف تلك المراحل عن طريق التغذية المرتدة Feedback التي تشمل الزيارات والمقابلات والاجتماعات والاستبيانات وغيرها من أساليب التعرف على الافادة المرجوة أو المستهدفة.

٣ ـ المصادر والمعلومات

يخطىء من يظن أن مراكز مصادر التعلم أو المكتبات الشاملة هي مكتبات تقليدية مضافا اليها تقنيات تربوية حديثة، بل الاصل هو تحديث المركز بمقتنياته ومصادره المتنوعة واختيار هذه المقتنيات بعناية بالغة، ومراجعة سياسة الاختيار والتزويد بصفة دورية، للتحقق من ملاحقة المعلومات المتطورة، فضلا عن الاستجابة لاحتياجات المستفيدين، ثم تصنيف هذه المصادر وتحليلها تحليلا موضوعيا معمقا، يتفق مع النظم الفنية العالمية، ثم تقديم خدمات المعلومات المتطورة، التي تستعين بالتقنيات التربوية الحديثة، بما في ذلك الحاسبات الالكترونية.

هذا، ومن الملائم ان يكون هناك برنامج لتعليم استخدام مصادر المكتبة الشاملة على ان يطبق هذا البرنامج على اساس فردي وجماعي، وعلى اساس ربط هذا التعليم بالمنهج، وذلك

لتنمية قدرات المستخدمين على الافادة القصوى من هذه المصادر والمعلومات.

٤ ـ اعضاء هيئة التدريس والامناء:

الطاقة البشرية هي القوة الحقيقية وراء نجاح العملية التعليمية في مراكز مصادر التعلم واذا كانت كليات التربية في وطننا العربي، قد بدأت تدخل في برامجها ومناهجها تخصصات تكنولوجيا التعلم (الا ان عملية اعداد الامناء القادرين على ادارة مصادر التعلم او المكتبات الشاملة ما تزال في مراحلها الاولى) وهذا الاعداد يتم في جامعات الدول المتقدمة منذ فترة طويلة حيث يجمع اختصاصي المكتبات والوسائل بين دراسات المعلومات والمكتبات والاتصال ودراسات الوسائل التعليمية والتربية.

خاتمة:

وبعد.. فان دور المكتبة الشاملة او مركز مصادر المعلومات هو دور كبير بل وخطر في انجاح العملية التعليمية والارتفاع بمستواها وخصوصا مع اتباع نظام المقررات الاختيارية.. واذ كانت دولة الكويت قد اهتمت باعداد المدرس في مراحل التعلم المختلفة وأنشأت كلية التربية ضمن جامعة الكويت منذ العام الجامعي ١٩٨١/ ١٩٨٢.. فان النظام التعلمي ـ كما اسلفنا ـ على مستوى الوطن العربي ما زال يخطو خطواته الاولى بالنسبة لاعداد امناء المكتبات واختصاصي المعلومات القادرين على استيعاب ثورة المعلومات وثورة التقنيات الحديثة التي نعتبرها ركيزة اساسية في الارتفاع بمستوى التعلم في الوطن العربي الكبير....

الهوامش:

١) خصص المركز العربي للتقنيات التربوية بالكويت عددا خاصا من مجلة «**تكنولوجيا التعلم**» وهو عدد ديسمبر ١٩٨٠ ليضمنه بعض المقالات والابحاث القيمة عن مراكز مصادر التعلم سواء من ناحية الاسس التربوية والنفسية التي تدعو لاقامتها او من ناحية توصيفها او اطارها التنظيمي والاداري او علاقتها بالمكتبات او المواد والاجهزة التي يجب توفرها او الهيئة الفنية.

٢)للتعرف على محتويات المقرر بجامعة الكويت انظر أحمد بدر **أصول البحث العلمي ومناهجه**. الكويت وكالة المطبوعات ١٩٧٩، ٥٣٦ ص (ويقوم بتدريس المقرر ضمن المتطلبات الجامعية ـ خمسة أعضاء هيئة تدريس).

كما تقوم الجامعة الاردنية وجامعة الملك عبد العزيز بجدة بتدريس مقرر مماثل انظر:

ـ فوزي غرايبه وآخرين. **أساليب البحث العلمي**. عمان، الجامعة الاردنية، ١٩٧٧.

٣) انظر في ذلك:

أحمد بدر وآخرين. **التفكير العلمي للمرحلة الثانوية**. الكويت وزارة التربية، ادارة المناهج والكتب المدرسية ١٩٨١، ١٥١ ص (تشعيب الزامي مقرر رقم ٦٤).

المراجع الأجنبية :

1. Castle, E.B. **The Teacher.** London: Oxford University Press, 1970.
2. Clayton, Howard, and Jordan, Robert T. «Library - College» in **The Encyclopedia of Education.** New York: Mc Millan, 1971.
3. Hostrop, Richard W. **Education Inside the Library - Media Centre.** Hamden, Conn. : Shoe String Press, 1973.
4. Ray, Willis E. «Pupil Discovery Vs Direct Instruction», **Journal of Experimental Education,** 29 (March, 1961).
5. Rogers, Carl R. **Freedom to Learn,** Columbus, Ohio: Merrill, 1969.
6. Schuster, Sister Marie, **The Library Centered Approach to Learning.** California, ETC Publications, 1977.
7. Tveteras, Harold L. «Information: A Living force for Education,» **UNESCO Bull for Librairies,** V. 24, 1970,
8. Wilson, Louis R. **The Library in College Instruction.** New York: Wilson, 1973.